خطورة البدع ومآل أصحابها :

رسالة هامة في مآل المبتدع بعد الموت

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقرارًا به وتوحيدًا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، تسليمًا مزيدًا.

أما بعد:
فإن من تدبر النصوص وعرف مقاصد الشرع علم أن أعظم ما حذّر النبي ﷺ منه أمته: البدع والمحدثات، حتى كان أكثر وصاياه لأصحابه: ((وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار)) رواه أبو داود والترمذي). فبيّن أن البدعة بريد الضلالة، وأنها أحب إلى الشيطان من المعصية؛ لأن العاصي يعلم أنه عاصٍ فيرجع ويتوب، وأما المبتدع فيرى أنه على هدى فلا يتوب فيموت على ضلاله، ومع كثرة النصوص في ذم البدعة وخطرها، فإنك لا تكاد تجد في كتب السلف تفصيلًا مستقلا لمآل المبتدع في القبر والبرزخ، كما فصّلوا في حال العصاة من النمام والغالّ والذي لا يستبرئ من بوله وغيرها من الاحاديث في عذاب البرزخ لاهل المعاصي من اهل التوحيد. وهنا موضع البحث والتحقيق.

أولًا:
النصوص العامة في ذم البدعة :
قال ﷺ: ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)) (متفق عليه)، وقال ﷺ في شأن الحوض: ((إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك))، (البخاري ومسلم)، وقال ﷺ: ((وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة))، (أبو داود وغيره).
فهذه الأحاديث صريحة في أن المبتدع مردود عمله، بعيد عن الشفاعة في الحوض، موعود بالنار إن لم يتب، وإنما جاء هذا الوصف عامًا مطلقًا، لا تفصيل فيه كالتفصيل الوارد في بعض الكبائر.

ثانيًا:
وجه الفرق بين ذكر الكبائر وإجمال حال المبتدع:
النصوص في الكبائر جاءت بالعين والاسم، كما في الغلول، والبول، والنميمة. فجاءت روايات خاصة تذكر عذاب القبر ونوعه في البرزخ ، فاقتضى من العلماء أن يذكروها تفصيلًا.
أما المبتدع فجاءت النصوص في شأنه عامة، ووصفُه بالمحدث، وبيانُ أن كل ضلالة في النار، وذكرُ طرده عن الحوض. فصار حكمه ملحقًا بالكليات الكبرى، من الكفر والإيمان، ولذلك قرر أهل السنة أن البدعة نوعان:
- بدعة مكفِّرة:
فيلحق بالكفار حكمًا ومآلًا.
- غير مكفِّرة:
يبقى في دائرة الإسلام، لكن وزره أشد من الكبيرة، وخطره أعظم منها، وعذابه غالب لا مفر منه إلا أن يتداركه الله برحمته .

ثالثًا:
حال أهل الكبائر عند الموت:
قد نص العلماء أن المعصية إذا لقي بها العبد ربه فهي من أعظم أسباب الفتنة عند الممات، وقد تفضي به إلى سوء

الخاتمة ، قال الإمام ابن باز رحمه الله:
[المعاصي خطرها عظيم فقد تفضي بأهلها إلى الكفر بالله، فهي بريد الكفر كما أن الأمراض بريد الموت].
وقال رحمه الله : [المعاصي والتساهل من أسباب سوء الخاتمة، والاستقامة على طاعة الله من أسباب حسن الخاتمة].
فمن مات على كبيرة ولم يتب فهو تحت المشيئة، قد يغفر الله له ابتداءً فلا يدخل النار، وقد يعذبه تمحيصًا ثم يخرجه، كما دلت عليه الآية: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: 48].
أما خطر سوء الخاتمة على صاحب الكبيرة عند فتنة الممات او عند الاحتضار ، فذلك انه لم يتدارك نفسه بالتوبة ، لانه في حال احتضاره عند الموت يكون ضعيف الايمان وقد يُفتن لضعف إيمانه ، ولكن ليعلم ان صاحب الكبيرة المؤمن الموحد غالبا ما يتداركه الله بتوبة قبل موته ، فان التوبة تجب ما قبلها فينجو من سوء الخاتمة ، وان تداركه الله برحمته وعفوه وكرمه فنجاه من سوء الخاتمة ولكن بقي على كبيرته لم يتب منها، فانه يكون تحت المشيئة ، فقد يغفر الله له ابتداء فلا تمسه النار ، وقد يعذب تمحيصا له بسبب كبيرته او ذنوبه.

رابعًا:
حال المبتدع عند الموت - وهو المقصود - :
إذا كان هذا حال أهل الكبائر، مع أن كثيرًا منهم يُوفَّقون للتوبة قبل الموت فينجون، فإن المبتدع أعظم خطرًا، وذلك لأنه قلّ أن يتوب؛ إذ يرى بدعته هدىً وقربة، ولأنه يتعصب لها ويجادل عنها، وينشرها فيموت غالبًا مصرًّا عليها، ولهذا قال السلف رحمهم الله :
[قلّ أن يوفق مبتدع للتوبة] ، وقد صح في الحديث ((أن الله حجب التوبة عن كل مبتدع)).
فإذا حضرته الوفاة ففتنته أعظم، ونجاته من سوء الخاتمة أندر، ولو نجا من فتنة الموت فالغالب أنه لا ينجو من عذاب النار، لكن لا يخلد فيها إذا كانت بدعته دون الشرك.
وهذا هو الذي نبه عليه الإمام ابن باز رحمه الله بقوله: [إذا دخل النار لا يخلد فيها], أي أن النجاة ابتداءً لا تُرجى له، وإنما المقطوع به أن الخلود ليس حكمه إن كانت بدعته غير مكفّرة.
وانقل كلامه رحمه الله كاملا :
قال العلامة الشيخ بن باز رحمه الله في شرح باب ما جاء أن البدعة أشد من الكبائر
لقوله: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء: 48]
- كتاب فضل الإسلام للمجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله -
[والمعنى أن البدعة أكبر من الكبائر لأنها تنقص للإسلام وإحداث في الإسلام وتهمة للإسلام بالنقص فلهذا يبتدع ويزيد أما المعاصي فهي اتباع للهوى وطاعة للشيطان فهي أسهل من البدعة وصاحبها قد يتوب ويسارع وقد يتعظ أما صاحب البدعة فيرى أنه مصيب فلا يتوب يرى أنه مصيب وأنه مجتهد فيستمر في البدعة نعوذ بالله ويرى الدين ناقص وهو في حاجة إلى بدعته فلهذا صار أمر البدعة أشد وأخطر من المعصية قال الله في أهل المعاصي وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ [النساء : 116] لأهل المعاصي تحت المشيئة أما أهل البدع فشرهم عظيم وخطرهم كبير لأن بدعتهم معناها التنقص للإسلام وأنه يحتاج إلى هذه البدعة ويرى صاحبها أنه محق ويستمر عليها ويبقى عليها ويجادل عنها نسأل الله العافية.
ثم اجاب على سؤال : البدعة ما تدخل تحت المشيئة؟
الجواب:
[لا ما تدخل في الذنوب متوعد أهلها بالنار والعياذ بالله إلا أن يتوبوا نسأل الله العافية ولكن إذا كانت دون الشرك يرجا لصاحبها لأنها في المعنى تدخل في المعنى من جهة المعاصي لكنها غير داخلة في قوله : { وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ }, [النساء : 116] في الجملة لكن إذا كان المبتدع بدعته دون الشرك فهي لها حكم المعاصي من جهة أنه لا يخلد في النار إذا دخل النار.

وهنا نكتة دقيقة في كلام الشيخ ابن باز رحمه الله فتأملوا ذلك رحمني الله واياكم :
قوله: [إذا دخل النار لا يخلد فيها], إشارة إلى أن المرجع هنا ليس إلى القطع بالنجاة بل إلى نفي الخلود فقط، أي أن باب العذاب مفتوح على مصراعيه لهم، بخلاف كثير من العصاة الذين قد يُرجى لهم مشيئة المغفرة الواسعة، ...
فالمبتدع الذي مات على بدعته غير المكفرة يظل مستحقًا للنار غالبًا، وإن كان مآله في النهاية إلى الجنة.

خامساً:
تقرير الشيخين (محمد بن عبد الوهاب وابن باز)
كلامهما - رحمهما الله - يقرران أمرين محوريين:
1- البدعة أشد من الكبائر لأنها تهمة للإسلام، وقلّ أن يتوب صاحبها لأنه يراها حقًّا.
2- أنها ليست داخلة في مشيئة المغفرة الواردة في الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ...﴾، إلا من حيث العموم العام، فالذي يموت على بدعة غير مكفّرة لا يُقطع له بالنجاة، بل الغالب أن يناله العذاب وإن لم يخلد.
هذا التفصيل الدقيق يُبيّن لماذا لم يُفرد العلماء باب المبتدع في القبر، وذلك لأن حاله أغلظ من مجرد صاحب معصية، لكن لمّا لم يكن كل بدعة مكفّرة، أُدرجت ضمن باب العصاة مع تقرير أن خطرها أشد وأثقل وزرًا.

سادساً:
وجه خطورة البدعة:
البدعة تُنقص الدين وتتهمه بالنقص، وصاحبها لا يرى نفسه عاصيًا بل يظن أنه محسن، فلا يتوب غالبًا، فيكون غالب أهل البدع عند السلف يخشَى عليهم سوء الخاتمة، فيلتحق كثير منهم بالمنافقين أو المرتابين.
ومن هنا قال بعض السلف:
[البدعة أحب إلى الشيطان من المعصية], لأن العاصي يعلم أنه عاصٍ فيرجع، أما المبتدع فيرى نفسه على هدى فيموت على ضلاله، ولان البدعة من اعظم ابواب الردة - عياذا بالله - ، والمبتدع في حقيقته لم يحقق معنى شهادة أن محمد رسول الله ، قال الله تعالى :
{أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الشورى : 21]
[من الشرك والبدع، وتحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرم الله ونحو ذلك مما اقتضته أهواؤهم.] السعدي / تفسير.

سابعاً:
الجمع بين القواعد:
المبتدع المكفّر:
كافر، مخلد في النار.
المبتدع غير المكفّر:
تحت الوعيد، الغالب أنه معذب، لكن لا يخلد.
أهل الكبائر:
داخلون في مشيئة الله، قد يغفر لهم ابتداءً أو يعذبهم ثم يخرجهم، والفرق الجوهري ، أن العصاة كثيرًا ما يتوبون قبل الموت، بينما المبتدع قلّ أن يتوب.

إذا قُسّم الناس عند الموت والمآل ظهر أنهم ثلاثة:
- المؤمن الموحد الكامل: له الأمن التام يوم القيامة، داخلون في قوله تعالى:

{إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ} [المؤمنون : 57]، إلى قوله تعالى، {أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ} [المؤمنون : 61]، وهم المذكورين في حديث السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب .
- الكافر والمبتدع المكفّر والمنافق الاعتقادي والمرتاب : خالدون في النار، داخلون في قوله تعالى : { إن الله لا يغفر أن يشرك به ...}
- العصاة واهل الكبائر من الموحدين: تحت المشيئة، داخلون في قوله تعالى: ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾.

- ويبقى صنف رابع:
أهل البدع غير المكفرة، هؤلاء خطرهم أعظم من أهل الكبائر، وغالبهم لا يتوب ولا ينجو من العذاب، لكنهم لا يخلدون فيه.
ومن هنا يُعلم أن عدم تفصيل العلماء لحالهم في القبر ليس إغفالًا، بل لأن نصوصهم جاءت في العموم، وبيان الأئمة المتأخرين كالشيخين المجدد وابن باز - رحمهما الله - أوضحا هذا الباب، وقررا أن البدعة أشر من الكبائر، وأنها طريق إلى سوء الخاتمة، والطرد عن الحوض، وأنها واهلها ليسوا داخلين في المشيئة في قوله عز وجل :
{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء: 48] ، وإنما المشيئة في هذه الاية خاصة في أهل الكبائر .

فالواجب أشد الحذر من البدع صغيرها وكبيرها، والاعتصام بالكتاب والسنة، فإن السلامة كل السلامة في الاتباع، والهلكة كل الهلكة في الابتداع.
والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

إيضاح وتتمة هامة :
لحال المبتدع بعد الموت – توضيح مهم

بسم الله الرحمن الرحيم
لما كان موضوع مآل المبتدع بعد الموت من المسائل الدقيقة التي يكثر فيها الالتباس، خاصة عند النظر في كلام الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وشرح العلامة ابن باز رحمه الله في فضل الإسلام، فقد راسلني بعض المشايخ الفضلاء وطلبة العلم على الخاص مستفسرين وملتمسين مزيد بيان وتفصيل لما أشكل عليهم مما أوردته في هذه التغريدات.
فرأيت أن أنقل لهم، ولعموم المتابعين، هذا الإيضاح المهم؛ رجاء أن يكون فيه زيادة توضيح وفائدة، وتقرير لما حرره الأئمة في هذا الباب، وإظهار لخطورة البدعة على صاحبها، وبيان لِما امتاز به تقرير الشيخ ابن باز رحمه الله من دقة وفهم عظيم.
فاكتب مستعينا بالله وحده ، واحمده واصلي على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا
أما بعد :

أولًا: أصل المسألة
المسألة مبنية على كلام الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في فضل الإسلام، باب: ما جاء أن البدعة أشد من الكبائر، حيث استدل بالآية:
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: 48].
وقد شرح هذا الباب العلامة ابن باز رحمه الله، فبيّن حقيقة دقيقة في شأن المبتدع.

ثانيًا: نص كلام ابن باز رحمه الله

قال رحمه الله:
[قال الله في أهل المعاصي {وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}[النساء : 116] لأهل المعاصي تحت المشيئة أما أهل البدع فشرهم عظيم وخطرهم كبير لأن بدعتهم معناها التنقص للإسلام وأنه يحتاج إلى هذه البدعة ويرى صاحبها أنه محق ويستمر عليها ويبقى عليها ويجادل عنها نسأل الله العافية.].
ثم سُئل: البدعة ما تدخل تحت المشيئة؟
فأجاب رحمه الله:
[لا، ما تدخل في الذنوب، متوعد أهلها بالنار والعياذ بالله إلا أن يتوبوا، نسأل الله العافية، ولكن إذا كانت دون الشرك يُرجى لصاحبها؛ لأنها في المعنى تدخل من جهة المعاصي، لكنها غير داخلة في قوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ في الجملة، لكن إذا كان المبتدع بدعته دون الشرك فهي لها حكم المعاصي من جهة أنه لا يخلد في النار إذا دخل النار]، (شرح فضل الإسلام).

ثالثًا: وجه الاستنباط
العلامة الشيخ ابن باز رحمه الله نفى دخول المبتدع في مشيئة المغفرة المذكورة في الآية، لأنها خاصة بأهل الكبائر، وأثبت أن المبتدع متوعَّد بالنار، وأن نجاته منها ضئيلة جدًا، إلا أن يتوب، لكنه استثنى أمرًا واحدًا، وذلك إن كانت بدعته دون الشرك، فهو لا يخلد في النار إذا دخلها، وإن كان الغالب دخوله، فالمبتدع له حكم المعاصي من جهة واحدة فقط، هو نفي الخلود، أما النجاة ابتداءً بالمغفرة، فليست له في حكم هذه الآية.

رابعًا: دقة تقرير الشيخ رحمه الله
هنا يظهر عمق فهم الشيخ ابن باز رحمه الله، فلو أدخلنا المبتدع في المشيئة، لساوينا بينه وبين صاحب الكبيرة، ولانتقض باب "البدعة أشد من الكبائر"، فلما نفاه من المشيئة وأثبته تحت الوعيد، تبيّن عظم خطره، وأن البدعة باب سوء الخاتمة وحرمان النجاة، ولهذا كان كانت الأحاديث في التحذير من البدع تختم بوعيد النار اطلاقا ، مثل ((كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار)) وحديث الافتراض ((كلها في النار إلا واحدة))
وهذين الحديثين المشهورين في البدع عمومها وليست في أهل الكبائر والمعاصي .

وتأمل بداية شرح الشيخ بن باز رحمه الله للباب
فقد ذكر أمورا في وصفها يشيب لها الرأس لمن تأملها وقلما تجد مثل هذا الوصف وشدة خطورته انقلها لكم بنصه :
[والمعنى أن البدعة أكبر من الكبائر لأنها تنقص للإسلام وإحداث في الإسلام وتهمة للإسلام بالنقص فلهذا يبتدع ويزيد أما المعاصي فهي اتباع للهوى وطاعة للشيطان فهي أسهل من البدعة وصاحبها قد يتوب ويسارع وقد يتعظ أما صاحب البدعة فيرى أنه مصيب فلا يتوب يرى أنه مصيب وأنه مجتهد فيستمر في البدعة نعوذ بالله ويرى الدين ناقص وهو في حاجة إلى بدعته فلهذا صار أمر البدعة أشد وأخطر من المعصية قال الله في أهل المعاصي {وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء : 116] لأهل المعاصي تحت المشيئة ، أما أهل البدع فشرهم عظيم وخطرهم كبير لأن بدعتهم معناها التنقص للإسلام وأنه يحتاج إلى هذه البدعة ويرى صاحبها أنه محق ويستمر عليها ويبقى عليها ويجادل عنها -نسأل الله العافية-].

خامسًا: تعليق مهم
قال الشيخ سليمان الرحيلي – حفظه الله – عند شرحه لهذا الباب ما معناه : [والله لقد أعيا وأتعب هذا الباب كثيرًا من أهل العلم].
والحق أن من تأمل شرح الإمام ابن باز رحمه الله ظهر له الجمع البديع بين كلام المجدد ودلالة النصوص، وأنه فهم عظيم قلّ أن ينتبه له غيره.

فالخلاصة، أن أهل الكبائر، هم تحت المشيئة بنص الآية، كثير منهم يتوب قبل الموت، وقد يغفر الله لهم ابتداءً، أما المبتدع المكفِّر، فحكمه حكم الكفار، خالد في النار، وأما المبتدع غير المكفِّر، فليس داخلًا في المشيئة في الآية الكريمة فيما قرره الشيخان المجدد وابن باز رحمهما الله ، بل متوعَّد بالنار غالبًا، لكن لا يخلد فيها، وهذا يبيّن عِظَم خطر البدعة، وأن نجاتها أصعب من الكبائر، فالتوبة منها نادرة، وسوء الخاتمة أقرب لأهلها، واستحقاقهم النار متغلب وأقرب.

خاتمة:
وهذا الفهم الجليل من تقريرات الإمام العلامة الشيخ ابن باز رحمه الله، إنما يكشف عن دقة استدلال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، إذ لم يُسوِّ بين البدعة والكبيرة، بل جعل البدعة أشد خطرًا وأعظم ضررًا، ولذلك استشهد بالآية العظيمة المحكمة التي هي أصل في تقرير أعظم أصول الدين عند السلف الصالح:
{إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا} [النساء: 48]
{إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء: 116]

فتأملوا – رحمكم الله – كيف جاءت الآيتان المحكمتان في سورة واحدة، وكيف وصف الله الشرك في الثانية بأنه {ضلال بعيد}، وتأملوا كيف وصف النبي ﷺ البدعة بأنها ((ضلالة))، ثم انظروا إلى الآية التي قبلها:
{وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء: 115]
فهي أعظم آية محكمة، وأصل راسخ في أن كل بدعة ما ظهرت إلا بمشاققة الرسول ﷺ وترك سبيل المؤمنين في إجماعهم المعصوم بعد الكتاب والسنة، فجاء هذا الترتيب البديع في سياق السورة دالًّا على عمق فقه المجدد رحمه الله ورسوخ علمه، إذ استنبط منه أن البدعة أعظم خطرًا من الكبائر، وأنها سبيل إلى النار إلا أن يتوب العبد منها قبل فوات الأوان.

✍️ خالد العُرُفَه آل حسين التميمي

رابط شرح الشيخ ابن باز رحمه اللّه:
https://binbaz.org.sa/audios/807/%D8%B4%D8%B1%D8%AD-%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8-%D9%81%D8%B6%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85